

السيرة النبوية للبراعم

(٥)

قَدْ شَمَلْنَا بِرَكَاتِهِ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الدكتور

محمد عمر الحاجي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا

ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف: ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس: ٢٢٤٨٤٣٢

e-mail: almaktabi@mail.sy

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع

www.almaktabi.com

وَاحْسَرَتَاهُ إِنَّهُ يَتِيمٌ!!

رَضَعَ الْغُلَامُ مُحَمَّدًا ﷺ مِنْ أُمِّهِ أَمِنَةً لَكِنْ
بَعْدَ يَوْمَيْنِ تَذَكَّرَتْ وَالِدَةُ عَبْدَ اللَّهِ فَبَكَتُ كَثِيرًا
لِفِرَاقِهِ ،... ثُمَّ حَاوَلَتْ أَنْ تُرْضِعَهُ فَلَمْ تَسْتَطِعْ ،
لَقَدْ جَفَّ الْحَلِيبُ مِنْ تَدْيِيهَا!

فَارْضَعْتَهُ (تُوَيْبَةُ : جَارِيَةٌ أَبِي لَهَبٍ) حَيْثُ
كَانَتْ تُرْضِعُ عَمَّهُ حَمْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . لَكِنْ
كَانَ مِنْ عَادَةِ الْعَرَبِ وَقْتئِذٍ أَنْ يُرْسِلُوا أَطْفَالَهُمْ
إِلَى مَرَاضِعِ الْبَادِيَةِ ، فَيُمْضُونَ هُنَاكَ حَتَّى
الْفِطَامِ ، أَوْ بَعْدَ قَلِيلٍ ، وَذَلِكَ بِهَدَفِ الْعَيْشِ فِي
الْهَوَاءِ النَّقِيِّ ، وَفِي أَحْضَانِ الطَّبِيعَةِ الْخَالِبَةِ ،

راجين أَنْ يتعوّد الغلام على الطَّبِيعَةِ القَاسِيَةِ ،
وَيَأْخُذَ دُرُوساً في الفُرُوسِيَّةِ والشَّجَاعَةِ ،
والتَّكْيُفِ مَعَ الصَّخْرَاءِ!

وَفِي كُلِّ عَامٍ ، كَانَتِ المُرْضِعَاتُ يَأْتِينَ مِنَ
البَادِيَةِ إِلَى الحَضَرِ؛ لِيَأْخُذَنَّ الأَطْفَالَ مَعَهُنَّ ،
وَذَلِكَ بِهَدَفِ الحُصُولِ عَلَى الأَجْرِ وَالهَدَايَا...

وَفِي ذَلِكُمُ المَوْسِمِ انْطَلَقَتِ المُرْضِعَاتُ إِلَى
مَكَّةَ ، وَرَاحَتُ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ تَبْحَثُ عَنِ غَلامٍ
مِنْ أُسْرَةٍ غَنِيَّةٍ .

وَلِذَلِكَ رَفَضَتْ كَثِيرٌ مِنَ المُرْضِعَاتِ أَنْ يَأْخُذَنَّ
مُحَمَّدًا البَيْتِيمَ الفَقِيرَ!!

وَيَشَاءُ اللهُ تَعَالَى أَنْ تَعُوذَ حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّةُ
بَعْدَ بَحْثِ طَوِيلٍ إِلَى زَوْجِهَا دُونَ أَنْ تَحْصُلَ عَلَى
رَضِيْعٍ وَاحِدٍ .

وَلَمَّا أَخْبَرَتْ زَوْجَهَا ، قَالَ : لَكِنَّ الْأَفْضَلَ لَنَا

أَنْ نَعُودَ إِلَى الْبَادِيَةِ وَلَوْ كَانَ مَعَنَا يَتِيمٌ!

فَقَالَتْ حَلِيمَةٌ : آه! لَقَدْ تَذَكَّرْتُ ، لَقَدْ عُرِضَ

عَلَيَّ غُلَامٌ ، لَكِنَّ رَفَضْتُ أَخْذَهُ؛ لِأَنَّهُ فَقِيرٌ ،

وَيَتِيمٌ .

فَقَالَ الزَّوْجُ : عُودِي إِلَى أَهْلِ الْيَتِيمِ ، فَخُذِيهِ

عَسَى أَنْ يَجْرِيَ اللَّهُ الرَّزْقَ عَلَيَّ يَدَيْهِ...!!

* * *

في الطريق إلى البادية

فَتَعَالَوْا أَيُّهَا الْأَجِبَةُ الْبَرَاعِمُ لِنَرَى مَاذَا حَدَّثَ
مَعَ الْمُرْضِعَةِ حَلِيمَةَ ، وَذَلِكَ مُنْذُ أَنْ أَخَذَتِ الْغُلَامَ
الْيَتِيمَ ﷺ ؟

لَقَدْ حَدَّثَ مَعَهَا أُمُورٌ عَجِيبَةٌ ، وَغَرِيبَةٌ ، مِنْ
ذَلِكَ مَثَلًا :

عِنْدَمَا جَاءَتْ مَعَ زَوْجِهَا ، وَوَلَدِهَا إِلَى مَكَّةَ ؛
كَانُوا يَرْكَبُونَ عَلَى نَاقَةٍ هَزِيلَةٍ ضَعِيفَةٍ ، فَكَانَ
الْوَفْدُ الَّذِينَ يَسِيرُونَ مَعَهُمْ يَتَضَايِقُونَ كَثِيرًا مِنْ
تَقْصِيرِ نَاقَتِهِمْ عَنِ الرَّكْبِ ، لَكِنْ فِي طَرِيقِ
الْعَوْدَةِ وَقَدْ رَكِبَ مَعَهُمُ الْغُلَامُ الْيَتِيمُ إِذَا بِالنَّاقَةَ

الَّتِي يَزْكُبُونَ عَلَيْهَا تَسْبِقُ النُّوقَ جَمِيعاً!

تَسْأَلُ النَّاسُ : مَاذَا حَدَّثَ لِحَلِيمَةَ وَرَوْجِهَا ؟

لَمْ يَعْرِفُوا أَنَّ السِّرَّ فِي ذَلِكَ هُوَ الْغُلَامُ

الْيَتِيمُ ﷺ ...

* * *

لَقَدْ زَادَتِ الْخَيْرَاتُ وَالْبَرَكَاتُ

قد تَتَسَاءَلُونَ يَا أَحِبَّتِي : وَمَاذَا حَدَّثَ مَعَهُمْ
غَيْرُ ذَلِكَ ؟

تَقُولُ حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّةُ : وَلَقَدْ كَانَ حَلِيبُ
تُدْيِي قَلِيلًا ، حَتَّى أَنْ وَلَدِي لَمْ يَكُنْ يَشْبَعُ مِنْ
الْحَلِيبِ ، وَمَا إِنْ وَضَعْتُ الْغَلَامَ الْيَتِيمَ فِي
حُضْنِي ، وَأَقْبَلَ عَلَيَّ تُدْيِي ؛ شَعَرْتُ أَنَّ الْحَلِيبَ
يَسْرِي فِيهِ عَلَى غَيْرِ عَادَةٍ .

فَرَضَعَ الْيَتِيمَ حَتَّى رَوِيَ ، ثُمَّ أَرْضَعْتُ وَلَدِي
حَتَّى شَبِعَ وَنَامَ ، وَلَمْ أَدْرِ مَا هُوَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ
كُلُّهُ ؟

إِنَّكُمْ سَتَقُولُونَ بِصَوْتٍ وَاحِدٍ يَا أَحِبَّتِي :
السَّبَبُ يَكْمُنُ فِي أَنَّ سِرَّ الْحَيَاةِ هُوَ الْغُلَامُ
الْيَتِيمُ ﷺ .

وَهَذَا مَا حَدَّثَ أَيْضًا مَعَ زَوْجِ حَلِيمَةَ ، لَقَدْ
كَانَتْ عِنْدَهُمْ نَاقَةٌ هَزِيلَةٌ لَا يُوجَدُ فِي ضَرْعِهَا إِلَّا
الْقَلِيلُ مِنَ اللَّبَنِ..

لَكِنْ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَصْبَحَتِ النَّاقَةُ تَحْلُبُ
أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهَا مِنَ النُّوقِ ، فَأَقْبَلَ الزَّوْجُ عَلَى
زَوْجَتِهِ حَلِيمَةَ ، وَقَالَ لَهَا : إِنَّ هَذَا الْغُلَامَ فِيهِ سِرٌّ
لَا نَعْرِفُهُ يَا حَلِيمَةَ..!

فَقَالَتْ حَلِيمَةُ : دَعِكَ مِنْ هَذَا! فَلَيْسَ فِي
الْمَسْأَلَةِ سِرٌّ ، وَمَا إِلَى هُنَالِكَ!

فَقَالَ الزَّوْجُ : وَهَا هُوَ الرَّاعِي يَعُودُ ، فَتَعَالَى
لِنَسْأَلَهُ : هَلْ حَدَّثَ مَعَهُ أَمْرٌ غَرِيبٌ ؟

وَلَمَّا وَصَلَ الرَّاعِي ؛ قَالَ : يَا سَيِّدِي ! لَقَدْ
حَدَّثَ مَعِيَ أَمْرٌ عَجِيبٌ ، لَقَدْ كَانَتْ الْغَنَمُ مَعِيَ
هَزِيلَةً لَا تَحْلِبُ ، وَفِي هَذَا الْيَوْمِ أَصْبَحَتِ الْغَنَمُ
تَأْكُلُ الْأَعْشَابَ ، وَتَحْلِبُ الْحَلِيبَ ، وَتَسْبِقُ
الْأَغْنَامَ الْأُخْرَى ، وَلَمْ أَدْرِ أَنَا وَبَقِيَّةُ الرَّعِيَانِ سِرَّ
مَا يَحْدُثُ !!

وَرَدَّدَ الْأَجِيبَةُ الْبِرَاعِمُ : إِنَّهُمْ لَمْ يَعْلَمُوا : أَنَّ
سِرَّ الْحَيَاةِ هُوَ الْغُلَامُ الْيَتِيمُ مُحَمَّدٌ ﷺ ، وَلَوْ
عَلِمُوا ذَلِكَ لَتَمَسَّكُوا بِهِ أَكْثَرَ ، وَأَكْثَرَ...

* * *

يَا رَبِّ أَبِقِ أَخِي مُحَمَّدًا

وَدَارَ الزَّمَنِ دَوْرَتَهُ ، وَرَاحَ الْغُلَامُ الْيَتِيمُ
يَنْمُو ، وَيَكْبُرُ ، وَأَنْتَهَتْ فَتْرَةُ الرِّضَاعَةِ وَكَانَ
الْفِطَامُ .

لَكِنْ حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّةِ لَمَّا رَأَتْ مِنْ خَيْرَاتِ
وَبَرَكَاتِ ذَلِكَ الْغُلَامِ ؛ اقْتَرَحَتْ عَلَى أُمِّهِ أَمْنَةَ أَنْ
تُبْقِيَهُ عِنْدَهُمْ فِي الْبَادِيَةِ سَنَتَيْنِ أُخْرَيَيْنِ ،
فَوَافَقَتْ أَمْنَةُ ، وَشَدَّدَتْ عَلَى الْإِهْتِمَامِ بِالْغُلَامِ ،
وَصِيَانَتِهِ ، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِ .

وَكَانَ جَوَابُ حَلِيمَةَ : وَاللَّهِ! لَوْ كَانَتْ الْمَسْأَلَةُ

بِيَدِي ؛ لَمَا أَعَدَّتْهُ إِلَيْكُمْ أَبَدًا ، فَكُلُّ مَا عِنْدَنَا تَحْوَلُ
إِلَى أَمْرٍ آخَرَ .

وَكَانَتْ لِلْغُلَامِ الْيَتِيمِ ﷺ أُخْتٌ مِنَ الرِّضَاعَةِ
اسْمُهَا (الشَّيْمَاءُ) وَكَانَتْ تَكْبُرُهُ بِالسِّنِّ ،
فَفَرِحَتْ بِهِ كَثِيرًا ، وَلَمْ تَعُدْ تُفَارِقُهُ أَبَدًا ، فَتَارَةً
تُدَاعِبُهُ ، وَتُلَاعِبُهُ ، وَتَارَةً تُفَارِقُهُ ، وَتُدْرِبُهُ ،
وَتَارَةً تَصْحَبُهُ مَعَ الرَّاعِي إِلَى الصَّخْرَاءِ ، وَتَارَةً
تَقُولُ :

يَا رَبِّ أَبْقِ أَخِي مُحَمَّدًا
حَتَّىٰ أَرَاهُ يَافِعًا وَأَمْرَدًا
ثُمَّ أَرَاهُ سَيِّدًا مُسَوِّدًا
وَأُنْحِبَتِ أَعَادِيهِ مَعًا وَالْحُسَدَا
وَأَعْطَاهِ عِزًّا يَدُومُ أَبَدًا

* * *

يَا أُمَّاهُ : لَقَدْ قَتَلُوا أَخِي!!

وَعِنْدَمَا أَتَمَّ الْغُلَامُ الْيَتِيمُ الرَّابِعَةَ مِنْ عُمْرِهِ
حَدَّثَ مَعَهُ حَادِثٌ خَطِيرٌ : ذَاتَ يَوْمٍ عَادَ وَاحِدًا مِنْ
أَوْلَادِ حَلِيمَةَ إِلَى الْبَيْتِ مُسْرِعًا ، فَدَخَلَ الْبَيْتَ
وَهُوَ يَصْرُخُ : يَا أُمَّاهُ! لَقَدْ قَتَلُوا أَخِي مُحَمَّدًا!

وَتَرَكَتْ حَلِيمَةُ كُلَّ شَيْءٍ فِي يَدَيْهَا وَانْطَلَقَتْ
نَحْوَ بَابِ الْبَيْتِ ؛ وَهِيَ تَقُولُ : مَاذَا ؟! مَنْ الَّذِي
قَتَلَهُ ؟ أَلَمْ أُوصِكَ بِهِ ... ؟!

وَأَخَذَتْ ابْنَهَا بِيَدِهِ وَانْطَلَقَا إِلَى حَيْثُ الْحَادِثِ
الْغَرِيبِ ، فَوَجَدَتِ الْغُلَامَ الْيَتِيمَ مُسْتَلْقِيًا عَلَى
ظَهْرِهِ ، وَقَدْ تَغَيَّرَ لَوْنُ وَجْهِهِ ، فَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِ

تَحَرُّكُهُ ، وَتَقَبُّلُهُ ؛ وَهِيَ تَقُولُ : أَأَنْتَ حَيٌّ
يَا وَلَدِي ؟! مَاذَا أَقُولُ غَدًا لِأُمِّكَ آمِنَةَ ، وَجَدِّكَ عَبْدِ
الْمُطَلِّبِ ؟!

ثُمَّ فَهِمَتْ أَنَّ الْحَادِثَ يَتَلَخَّصُ بِمَا يَلِي : لَقَدْ
جَاءَ ثَلَاثَةٌ لَيْسُوا كَالرِّجَالِ ، فَعَمَدَ أَحَدُهُمْ إِلَيْهِ ،
فَأَضْجَعَهُ عَلَى الْأَرْضِ ، وَشَقَّ صَدْرَهُ دُونَ أَلَمٍ ،
ثُمَّ أَخْرَجَ قَلْبَهُ ، وَغَسَلَهُ بِالْمَاءِ ، وَالتَّلْجِ ، ثُمَّ
أَعَادُوهُ إِلَى مَكَانِهِ ، ثُمَّ أَعَادُوا مَكَانَ الشَّقِّ إِلَى مَا
كَانَ عَلَيْهِ !!

عِنْدَيْدِ كَادَتْ حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّةُ أَنْ تَفْهَمَ سِرَّ هَذَا
الْغُلَامِ الْيَتِيمِ ، فَالْمَسْأَلَةُ لَيْسَتْ أَمْرًا عَادِيًّا ، لِذَلِكَ
قَرَّرَتْ فِي نَفْسِهَا أَنْ تُعِيدَ الْغُلَامَ الْيَتِيمَ إِلَى أُمِّهِ ؛
خَوْفًا مِنْ أَنْ يُصَابَ بِمَكْرُوهِ .

وفي صَبِيحَةِ الْيَوْمِ الثَّانِي رَكِبَتْ حَلِيمَةُ مَعَ

زَوْجِهَا وَالْغُلَامَ الْيَتِيمَ ، وَأَنْطَلَقُوا نَحْوَ مَكَّةَ ،
وَهُنَاكَ أَعَادَتْهُ إِلَىٰ أُمِّهِ ، وَقَصَّتْ عَلَيْهَا الْحِكَايَاتِ
الْغَرِيبَةَ الَّتِي رَأَتْهَا مِنْهُ ، فَزَادَتْ الْحَيْرَةَ وَالذَّهْشَةَ
فِي قَلْبِ أَمِنَةَ...

وَأَخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

* * *